منزل الأحلام

تأليف: أحمد طي
رسم: ميرا المير

ليس بالقَصْرِ الكَبيرِ أو الفَخْمِ أو الثَّرِيّ، يَكادُ بجمالِهِ يُشْبِهُ كُلَّ البُيوتِ والمَنازِلِ، لكنَّ لِهذا البيتِ الصَّغيرِ المُنَمْنَمِ مَنْزِلَةً كَبيرَةً في نَفْسِ رامي وهو صَغير، وقِصَّةً كَبيرَةً عِندَما كَبِرَ.

فلقد كانَ كُلَّ صَباحٍ، وهو في باصِ المَدْرسَةِ، يَضَعُ كَفَّيْهِ على خَدَّيْهِ مُتَأَمِّلاً ذلك المَنْزِلَ الجَميلَ، وكم كانَ يَتَمنّى لو أنَّ ريما ورانيا اللتين يقع بَيْتُهما خَلْفَ ذلك البَيْتِ الجَميلِ تَتَأَخَّرانِ على الصُّعودِ إلى الباصِ، لقد كانَ يرى فيه صُوَراً ليْسَتْ في كُلِّ المنازِلِ، ولا حتى مَنْزِلِه.

كانَ رامي يُحِبُّ ذلك المَنْزِلَ كَثيراً وكَثيراً ما تَمَنّى لو أنّه يَنامُ فيه ولو لِلَيْلَةٍ واحِدَةٍ.

فَكَّرَ كَثيراً أنْ يَأْتِيَ إلى ريما أو رانيا للدَّرْس أو اللَّعِبِ، لكنَّ ذلك صَعْبٌ جداً، فَمَنْزِلُهما في البَلْدَةِ الأُخْرى، ثم أنَّ ريما تَسْبِقُه بِصَفَّيْنِ وهو يَسْبُقُ رانيا بِصَفَّيْنِ أَيْضاً.

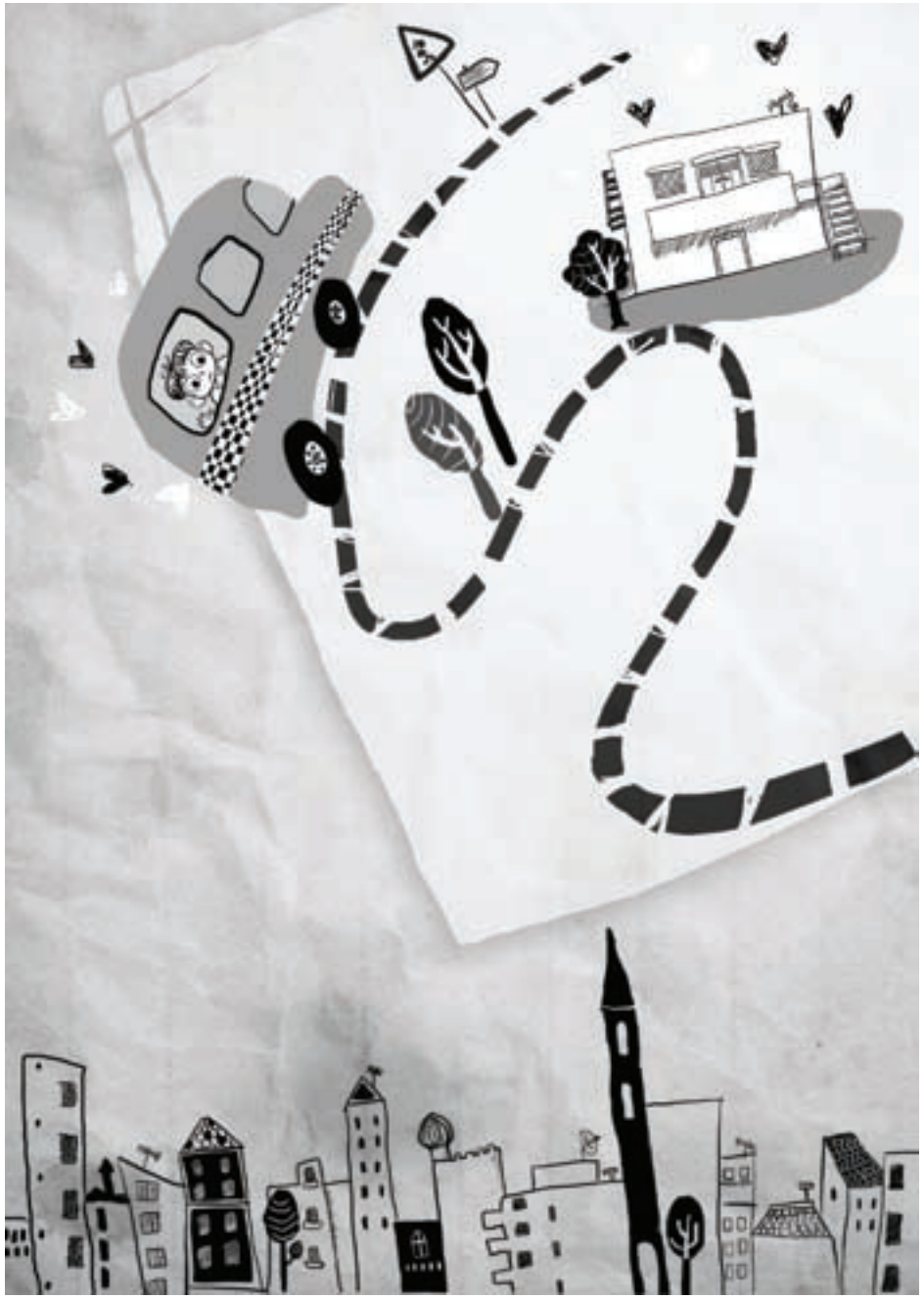

ثَماني سَنواتٍ دِراسيَّةٍ قَضاها رامي في تِلك المَدْرَسَةِ، ولِثَماني سَنَواتٍ دِرَاسِيَّةٍ كانَ يَحْلَمُ أن يَدْخُلَ ذلك البَيْتَ الجَميلَ، لكنْ دونَ جَدْوى.

مرَّتِ السُّنونُ وَكَبِرَ رامي وانْتَقَلَ إلى المَدْرَسَةِ المُتَوَسِّطَة فالثّانَوِيَّةِ، وَرَغْمَ أنَّه لم يَعُدْ يَمُرُّ من أمامِ ذلك المَنْزِلِ، إلّا أنَّ صورَتَهُ كانَتْ مَحْفورَةً في مُخَيِّلَتِهِ، وجَمَالَهُ مَغْروزٌ في ذاكِرَتِهِ، وحُلْمَهُ بَقِيَ حياً معَ أَنْفاسِه.

كانَ لِرامي أُخْتٌ كَبيرَةٌ تُدعى ياسَمين، وتشاءُ الصُّدَفُ أن تَتَزَوَّجَ شاباً من بَلْدَةٍ أُخْرى، وتعيشَ في بيروت معَ زَوْجِها الذي لا يَمْلِكُ بَيْتاً، ثم لِيعودَ زَوْجُ ياسَمينَ بَعْدَ ثَلاثِ سَنَواتٍ لِلْإِسْتِقْرارِ في بَلْدَتِه عازماً بِناءَ مَنْزِلٍ له ولأُسْرَتِه.

وكَأَيِّ مَشْروعٍ يَجِبُ أَنْ يُعْرَضَ على العائِلَةِ والأَقارِبِ لإبْداءِ الرَّأْيِ في حَجْمِ المَنْزِلِ وكِبَرِهِ أو صِغَرِهِ، في مَوْقِعِهِ وشَكْلِه، ولِلزَّوْجَةِ وَأَهْلِها آراءٌ في عَدَدِ الغُرَفِ

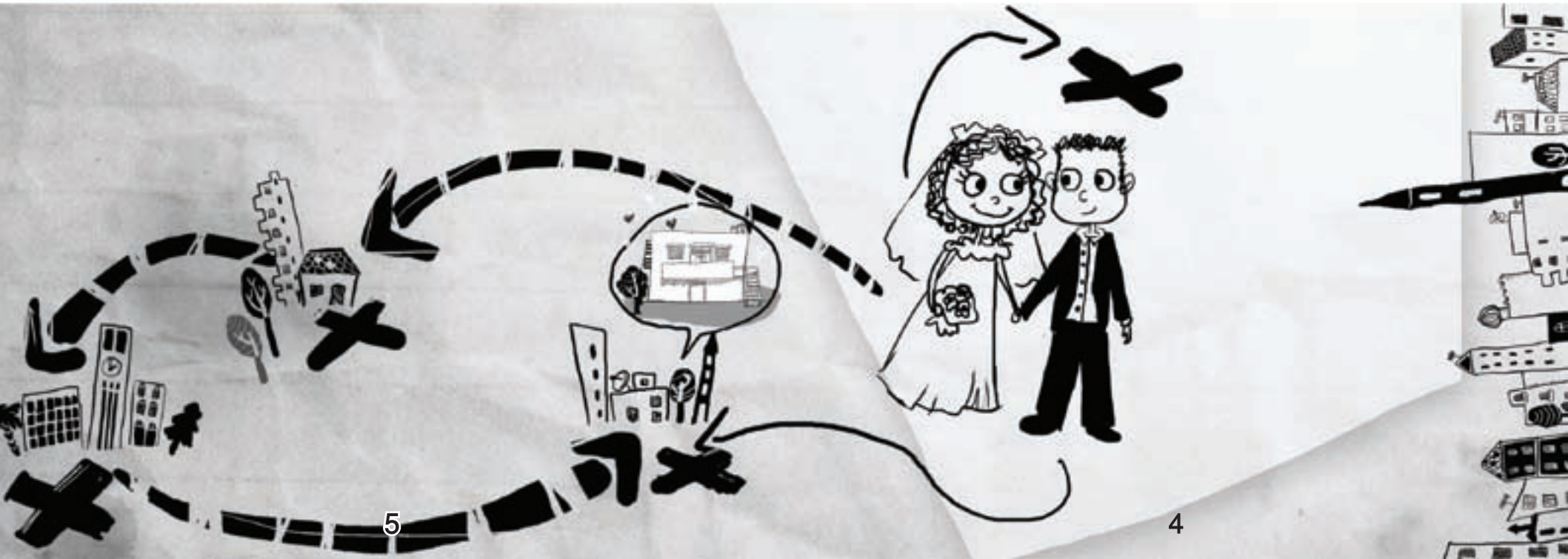

والشُّرُفاتِ، وفي لَوْنِ الدِّهان الدّاخِلِيِّ والخارِجِيِّ، والأَفْضَلُ أَنْ يَكونَ السَّطْحُ مُغَطىً بالقِرْميد، والأَجْملُ أَنْ يَكونَ لِلْبَيْتِ حَديقَةٌ إلخ...

كلُّ هذا والبِناءُ ما زالَ مَشْروعاً لم يُنَفَّذْ بَعْدُ.

وفي إِحْدى الصَّباحاتِ تَأْتي ياسَمينُ وَزَوْجُها لِبَيْتِ أَهْلِها ومَعَهُما مَشْروعٌ آخَرُ يَفْتَحُ بابَ النِّقاشاتِ والإِقْتِراحاتِ والتَّمَنِّياتِ والآراءِ من جَديدٍ، فلقد أُلْغِيَ مَشْروعُ بناءِ مَنْزِلٍ جَديدٍ ليَخْلِصا إلى شِراءِ بَيْتٍ مَبْنِيٍّ وجاهزٍ بِكُلِّ تَفاصيلِه، ولا يَنْقُصُ إلا أَنْ ينالَ رِضى أَهْلِ الزَّوْجَة.

رَكِبوا جَميعاً في الحافِلَةِ الصَّغيرَةِ، ياسَمينُ بالقُرْبِ من زَوْجِها الذي كانَ يَقودُ، والِدُها ووالِدَتُها، شيرينُ ونسرينُ اللتان تَحْمِلان طِفْلَيْ أُخْتِهما ويُدَلِّلانِهما،

أَمّا رامي فَشاءَ القَدَرُ أَنْ يَكونَ مَقْعَدُهُ في مُؤَخِّرَةِ الحافِلَةِ حَيْثُ لا نَوافِذَ ولا يَرى شَيْئاً إلّا منَ الزُّجاجِ الخَلْفِيِّ لِلْحافِلَةِ.

لَكِنَّ ذلك لم يَكُنْ سَيِّئاً لِرامي فلقَدْ كانَ يَنْظُرُ لِلْخَلْفِ مُتَذَكِّراً دَرْبَ الطُّفولَةِ في الذَّهابِ لِلْمَدْرَسَةِ الإِبْتِدائِيَّةِ، وبَيْنما كانَ الجَميعُ يَتَناقَشونَ في أُمورِ المَنْزِلِ الجَديد، كانَ رامي يَتَذَكَّرُ مَنْزِلَ فُلانَةٍ ومَنْزِلَ فُلانٍ، هنا كانَ يَرى عَنْزَةً في حَديقَةِ مَنْزِلٍ وفي هذا المَوْقِعِ كانَ يَرى شَجَرَةً جَميلَةً، ومن هذا الدُّكّانِ كانَتْ تَنْبَعِثُ رائِحَةُ القَهْوَةِ، ومن هذا الفُرْنِ كانَتْ تَتَهادى إلى أَنْفِهِ رائِحَةُ مناقِيشِ الزَّعْتَرِ الشَّهِيَّة، كُلُّ ذلك كانَ يَحْدُثُ لِرامي وهو يَبْتَسِمُ ويَبْتَسِمُ.

وبَعْدَ قَليلٍ صَمَتَتْ مُخَيِّلَةُ رامي وسَكَتَتْ ذاكِرَتُهُ، فالحافِلَةُ تَقْتَرِبُ به من مَكانٍ عَزيزٍ على قَلْبِهِ، رَغْمَ أَنَّه كانَ يرى الطَّريقَ من مؤخِّرَةِ الحافِلَةِ، وبَدَأَ يَبْتَسِمُ من جَديدٍ وَيَتَساءَلُ: «هل سَنَمُرُّ من أمام مَنْزِلي؟»

لم يكْتَفِ بذلك بَلْ أَخَذَ يُحاوِلُ القَفْزَ لِلْأمامِ لِيرَى بِشَكْلٍ أَفْضَلَ، لكِنْ دونَ جَدْوى، فالأُخْتانِ تَمْنعانِهِ من ذلك، بَقِيَ مُتَسَمِّراً في مَكانِهِ واضِعاً كَفَّيْهِ على خَدَّيْهِ كما كانَ يَفْعلُ وهو صَغيرٌ، لكنَّه لم يَكُنْ يَتَأَمَّلُ فقط، فَمَنْ يَراهُ بتلك الحالَةِ كانَ يُدْرِكُ أَنَّهُ كانَ يُصَلّي أَنْ تَتَوَقَّفَ الحافِلَةُ حَيْثُما يُريد.

بعد قَليلٍ تَهادَتِ الحافِلَةُ وتَسارَعَتْ معَها دَقّات قَلْبِ رامي، تَوَقَّفَتْ ورامي يُريدُ أَنْ يَتَرَجَّلَ منْها أَوَّلاً، لم يَكُنْ صَبوراً فَقَفَزَ من فَوْقِ أُخْتَيْه وأَهْلِه، تَرَجَّلَ منَ الحافِلَةِ مُتَوَجِّهاً إلى الأَمامِ لِيَقِفَ أمامَ مَنْزِلِ أَحْلامِهِ مُبْتَسِماً، فلقدْ كانَ كما هو جَميلاً، كما تَرَكَهُ مُنْذُ ستِّ سَنَواتٍ، لَوْنُه الرَّمادِيُّ كما هو، نَوافِذُهُ الجَميلَةُ لم

تَتَغَيَّرْ، لم يَتَغَيَّرْ شَيْءٌ فيه سِوى بَعْضِ شُجَيْراتِ زَيْتونٍ في الحَديقَةِ لم تَكُنْ مَوْجودَةً قَبْلاً، ولم يَقْطَعْ عَلَيْه مُخَيِّلَتَهُ لا بَلْ سُرورَهُ وَجَذَلَه سِوى ضَحِكِ أَهْلِهِ وَأُخْتِهِ ياسَمينَ التي صاحَتْ: «هاااايْ رامي... هلْ كُنْتَ تَعْرِفُ أَنَّنا نَنْوي شِراءَ هذا المَنْزِلِ؟»

وَقَعَ هذا السُّؤالُ على رامي كالصّاعِقَة، اِلْتَفَتَ نَحْوَ ياسَمينَ قائِلاً:

«ماذا؟ ماذا تَقولين؟ تَنْوونَ شِراءَ هذا المَنْزِلِ؟»

أجابَتْ: «نَعَمْ، إنَّه مَنْزِلُنا الجَديدُ ولا ضَرَرَ أن نَسْمَعَ رَأْيَك به أَوَّلاً.» عِنْدَها قَفَزَ رامي عالِياً وهو يصيح: «يووووووووووووووبي تَحَقَّقَ حُلْمي، تَحَقَّقَ حُلْمي». وانْطَلَقَ قافِزاً من فَوْقِ «دَرابْزونِ» الحَديقَةِ لِيَخْتَفِيَ ثم يَظْهَرَ على حافَّةِ الشُّرْفَةِ الكَبيرَةِ وهو يَصيحُ فَرِحاً: «تَحَقَّقَ حُلْمي، تَحَقَّقَ حُلْمي...»

فما كانَ منَ الجَميع الذينَ صَمَتوا لِبُرْهَةٍ تَعَجُّباً من تَصَرُّفِ رامي إلا أن يُفَجِّروا ضَحِكاتِهم عالِياً، من

ثم فَتَحوا بابَ المَنْزِلِ وتَجَوَّلوا في مَمَرّاتِه وغُرَفِهِ، ولِحُسْنِ حَظِّ رامي أَنْ نالَ المَنْزِلُ إِعْجابَ الجَميع، ثم تَحَلَّقوا حَوْلَهُ يُريدونَ سَماعَ القِصَّةِ، قِصَّةِ حُلْمِ رامي.

يَبْقى أَنْ نُخْبِرَكُمْ أَنَّ رامي بَقِيَ عِنْدَ أُخْتِه ياسَمينَ لِمُدَّةِ أُسْبوعٍ كامِلٍ في مَنْزِلِ الأَحْلامِ...